هارون الرشيد .. أمير الخلفاء وأجلّ ملوك الدنيا!!

محمود حافظ

لم يتعرض شخصية من التاريخ الإسلامي من التشويه كما تعرضت له شخصية هارون الرشيد رحمه الله!!

وكان من تولى كبر هذا الأمر الروافض والمستشرقين وأذنابهم من العلمانيين .. فكان لابد من تفنيد الشبهات وبيان حقيقة هارون الرشيد .

ونحاول فى هذا الموضوع ان نلقى الضوء على سيرة هارون الرشيد وثناء العلماء عليه وأخباره فى الورع والتقوى والخشية ، ومصادر الدراسة هى -:

-1تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي
-2تاريخ ابن خلدون ، للقاضى عبد الرحمن ابن خلدون
-3أخبار الدول وآثار الأول , للقرماني
-4الانباء فى تاريخ الخلفاء ، للعمراني
-5الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير
-6الوافى بالوفيات ، للصفدي
-7شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي
-8الذهب المسبوك فى من حج من الملوك , للمقريزي
-9تاريخ خليفة بن خياط ، لابن خياط
-10سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي
-11تاريخ الخلفاء للسيوطي
-12البداية والنهاية ، لابن كثير

13- تاريخ الأمم والملوك , للطبري

14- هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا ، لشوقى خليل

15- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ابن بطوطة

مولده ونشأته:

هو أمير المؤمنين أبو جعفر هارون بن محمد المهدى بن عبد الله المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما.

فأبوه هو أمير المؤمنين المهدى وجدّه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور وأخوه أمير المؤمنين موسى الهادى ، وأمّه هى أم ولد تسمّى الخيزران ، فكان رحمه الله من عائلة مترفة وكلهم أمراء المؤمنين.



أحد قصور العباسيين فى بغداد المحتلة ..

وُلد هارون الرشيد رحمه الله بالريّ – مدينة بجانب طهران اليوم – عام148 هـــ, وكان رحمه الله طويلا ، جميلا ، أبيضا ، قد وخطه الشيب , وعاش هارون الرشيد فى كنف والده المهدى وكانت له حال عجيبة فى نشاطه للغزو والجهاد على صغر سنه !!

فى عام ١٦٥هـــ , قاد هارون الرشيد جيوش المسلمين لغزو بلاد الروم ووصل بجيوش المسلمين الى خليج القسطنطينية الى حيث لم يصل اى قائد من الدولة العباسية قبله ولا بعده.

ففى يوم السبت لإحدى عشر ليلة بقيت من جمادى الآخرة عام ١٦٥هـــ ، خرج هارون الرشيد على رأس جيش لغزو بلاد الروم فى خلافة أبيه المهدى ، وكان عدد جيوش المسلمين خمسة وتسعين الفا وسبعمائة ٩٥٧٠٠ ألف مجاهد ، فأوغل هارون الرشيد فى بلاد الروم وأثخن فيهم ، ووصل الى أهم مدن الروم قبل القسطنطينية وهى "المسالح" وعليها أميرهم "الدمستق" فاتردعت فرائصه من الرعب من الرشيد فهادنه وأعطاهم مائة ألف دينار وثلاثة وتسعين ألفا واربعمائة وخمسين دينارا ١٩٣٤٥٠ ومن الفضة حوالى وحدا وعشرين ألف ألف درهم – ٢١ مليون درهم !! .

ثم تقدم هارون الرشيد رحمه الله الى ان وصل الى خليج القسطنطينية عاصمة بلاد الروم , وكانت على الروم إمرأة تسمى" إيريني "وتلقب بأغُسْطة ، فجرى بينهم سفارات ورسل تطلب الصلح والموادعة ، فتم الصلح على الفدية بمقدار سبعون ألف دينار ٧٠,٠٠٠ سنويا ، وكانت الهدنة ثلاث سنوات ، ثم قفل الرشيد راجعا الى بغداد.



عملة ذهبية للملكة "إيريني" ملكة الروم فى عهد الرشيد ..

قُتل فى هذه المعارك من الروم اربعة وخمسون ألفا ٥٤ ألفا ، وقُتل من الأسارى صبرا ألفان وتسعون أسيرا ، وعمّ الخير على بلاد المسلمين من كثرة الغنائم حتى بيع البرذون بدرهم , والبغل بأقل من عشرة دراهم ، والدّرع بأقل من درهم ، والعشرين سيفا بدرهم.

والعجيب فى كل هذا ان هارون الرشيد يوم قاد جيوش المسلمين لتلك الملحمة لم يتجاوز عمره سبع عشرة سنة ١٧ فقط!!

الله أكبر ..

يقول مروان بن أبي حفصة فى هذه الوقعة:

أَطفْتَ بقُسطنطينةِ الروم مُسنِدا *** اليها القنا حتى اكتسى الذّلَّ سورها

وما رِمْتَها حتى أتتك مُلوكُها *** يِجزْيتها ، والحربُ تغلى قُدورُها

خلافة هارون الرشيد:

استخلف بعهد أبيه عند موت أخيه الهادى ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة ١٧٠هـــ وفى نفس تلك الليلة وُلد له ابنه عبد الله المأمون ، ولم يكن فى سائر الأزمان ليلة مات فيها خليفة وقام خليفة وولد خليفة إلا هذه الليلة ، وكان عمر هارون الرشيد لما ولى خلافة المسلمين **22** سنة فقط**!!**

وكان رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له **:** إن هذا الأمر قد صار اليك فى هذا الشهر. فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين.

وكتب على قلنسوة له : غاز وحاج ، وكان يسمى نفسه : الغازى الحاج ، وكان نقش خاتمه : "كن مع الله على حذر "



درهم فضي من أيام هارون الرشيد رحمه الله ..

يقول الصفدي : كان يحب العلم وأهله ، ويعظم حرمات الله فى الإسلام.

يقول الذهبي : كان من أنبل الخلفاء ، وأحشم الملوك ، ذا حجٍ وجهاد , وغزو وشجاعة ورأى .

يقول السيوطي : كان أمير الخلفاء وأجلّ ملوك الدنيا ، وكان كثير الغزو والحج . وقال ايضا : وكان يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام ويبغض المراء فى الدين والكلام فى معارضة النص.

يقول ابن كثير : كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزوا وحجا بنفسه .

يقول ابن العماد الحنبلي : قال ابن الفرات : كان الرشيد يتواضع لأهل العلم والدين ، ويكثر من محاضرة العلماء والصالحين.

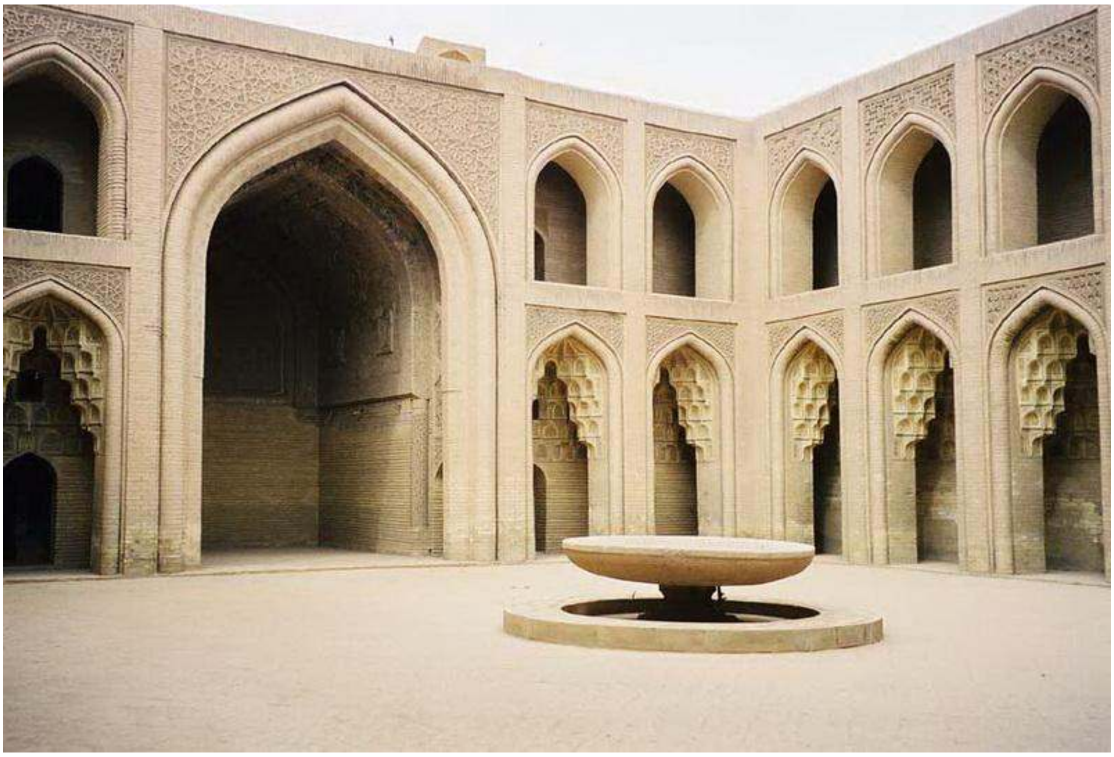
ويقول ابن العماد : وكان الرشيد رحمه الله يحب الحديث وأهله ، وسمع الحديث من مالك بن أنس ، وإبراهيم بن سعد الزهري ، وأكثرُ حديثه عن آبائه ، وروى عنه القاضى أبو يوسف والإمام الشافعي رضى لله عنهما . ذكر ذلك ابن الجوزى

وقال ايضا : وكان كثير البكاء من خشية الله ، سريع الدمعة عند الذكر ، محبا للمواعظ

يقول القرماني : وهو من أجل ملوك الأرض ، له نظر فى العلم والآداب , وكان يصلى فى كل يوم وليلة مائة ركعة ، وكان يحب العلم ويوقر أهله ، وكانت أيام الرشيد كلها خيرا ، كأن من حسنها أعراس .أ.هـــ

وكان رحمه الله عابدا متهجدا ، فكان يصلى فى خلافته كل يوم مائة ركعة الى ان فارق الدنيا لا يتركها إلا لمرض ، وكان يتصدق كل يوم من صلب ماله بألف درهم ، وكان إذا حجّ أحجّ معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج أحج فى كل سنة ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة رحمه الله.

وكان عنده من تعظيم الشرع شيىء عجيب وكان إذا ذُكّر بالله تذكر وإذا خُوف ازدجر ،وكان معظما لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول أبو معاوية الضرير الإمام المحدث الكبير : ما ذكرت عنده – اى هارون الرشيد – حديثا إلا قال : صلى الله وسلم على سيدى , وإذا سمع حديثا فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى .



أحد قصور العباسيين فى بغداد ..

ودخل عليه يوما الإمام أبو معاوية الضرير وعنده أقوام من وجوه قريش ، وكان مجلسه يُقرأ فيه حديث رسول الله ، فحدثه أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة حديث (احتج آدم وموسى) وذكر الحديث ، فقال عمّ الرشيد : أين لقى آدم موسى !! ، فغضب الرشيد ونادى بالنطع والسيف وقال : زنديق والله يطعن فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم , !! فما زال الإمام أبو معاوية يسكنه ويقول : كانت منه بادرة يا أمير المؤمنين ولم يفهم.

وفى رواية أخرى ان عمّ هارون الرشيد قال : وأين التقيا يا ابا معاوية ؟ فضغب الرشيد من ذلك غضبا شديدا , وقال : أتعترض على الحديث ؟ عليّ بالنطع والسيف , فأحضر ذلك فقام الناس اليه يشفعون فيه ، فقال الرشيد : هذه زندقة , ثم أمر بسجنه وأقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من ألقى اليه هذا , فأقسم عمّه بالأيمان المغلظة ما قال هذا له أحد ، وإنما كانت هذه الكلمة بادرة منى وأنا استغفر الله وأتوب اليه منها . فأطلقه !!



المدرسة المستنصرية ببغداد ، بناها المستنصر العباسي ..

الى هذا الدرجة من تعظيم الشرع رحمه الله ، وكان محببا اليه سماع الاحاديث لا سيما عن الجهاد!!

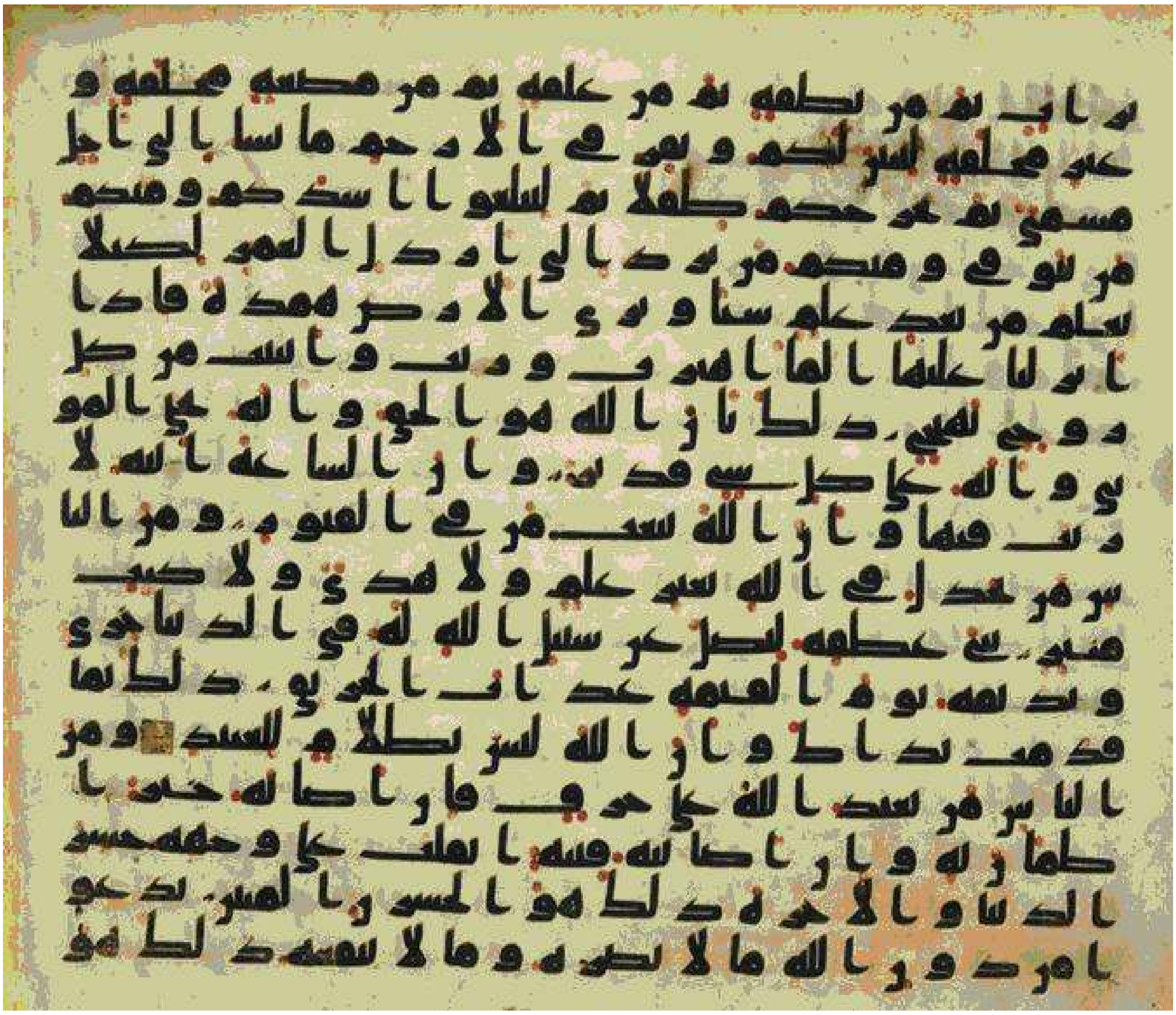
يقول أبو معاوية الضرير : حدثت هارون الرشيد بهذا الحديث ، يعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم :
((وددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ..)) الحديث , فبكى هارون الرشيد حتى انتحب رحمه الله !!

ومما روى من الاحاديث :

قال الصولي : حدثنا عبد الرحمن بن خلف ، حدثني جدى الحصين بن سليمان الضبي , سمعت الرشيد يخطب فقال فى خطبته : حدثنى مبارك بن فضالة , عن الحسن ، عن أنس فقال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : اتقوا النار ولو بشق تمرة.

حدثنى محمد بن على عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علىّ بن أبي طالب قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : نظفوا أفواهكم فإنها طريق القرآن .

قلما نسمع عن خليفة للمسلمين له رواية للحديث ، لله دره !!



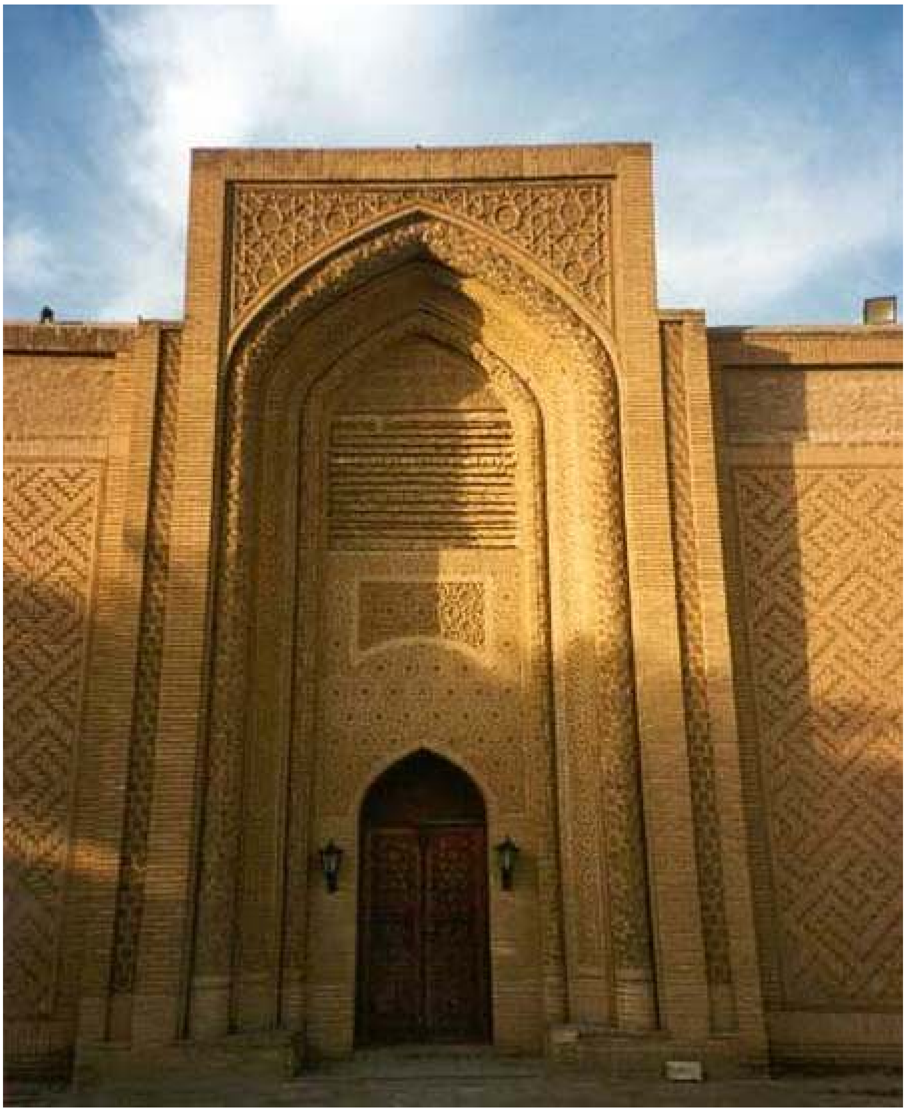
يقول الذهبي : وكان يحب العلماء ، ويعظم حرمات الدين ، ويبغض الجدال والكلام ، ويبكى على نفسه ولهوه وذنوبه لا سيما إذا وعظ . أ.هـــ

يقول الخطيب البغدادي : وكان يحب الفقه والفقهاء ، ويميل الى العلماء . أ.هـــ

عن أبي معاوية ايضا قال : أكلت مع الرشيد يوما ، ثم صبّ على يدى رجل لا أعرفه ، ثم قال الرشيد : تدرى من يصب عليك ؟ قلت : لا ، قال : أنا ، إجلالاً للعلم , قال أبو معاوية : فدعوت له ، فقال : إنما أردت تعظيم العلم.

ويروى بعضهم : دخلت على هارون الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه فى قفا الرجل المقتول ، فقال هارون الرشيد: قتلته لأنه قال القرآن مخلوق ، فقتله على ذلك قربة الى الله عز وجل .

وبلغه عن بشر المريسي القول بخلق القرآن ، فقال : لئن ظفرت به لأضربن عنقه .



أحد قصور العباسيين فى بغداد ..

وأخرج ابن عساكر عن أبن علية ، أخذ هارون الرشيد زنديقا ، فامر بضرب عنقه , فقال له الزنديق : لم تضرب عنقى ؟ ، فقال الرشيد : أُريح العباد منك , فقال الزنديق : فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله كلها ما فيها حرف نطق به !!

فقال الرشيد : فأين أنت يا عدو الله من أبي اسحق الفزاري ، وعبد الله بن المبارك ، فينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا !!

دخل عليه يوما ابن السمّاك الواعظ فاستسقى الرشيد فأتى بقلة فيها ماء مبرد فقال لابن السماك : عظني ، فقال : يا أمير المؤمنين بكم كنت مشتريا هذه الشربة لو منعتها ؟ فقال : بنصف ملكي , فقال : اشرب هنيئا ، فلما شرب قال : أرأيت لو منعت خروجها من بدنك بكم كنت تشتري ذلك ؟ فقال : بنصف ملكي الآخر , فقال : إن ملكا لا يساوى شربة ماء وخروج بولة لجدير الا ينافس فيه ، فبكى هارون الرشيد رحمه !!

وروى أنه لما لقى الفضيل بن عياض هارون الرشيد , فقال الفضيل : يا حسن الوجه أنت المسؤول عن هذه الأمة ، حدثنا ليث عن مجاهد ((وتقطعت بهم الاسباب)) قال : الوصل الذى كان بينهم فى الدنيا ، فجعل هارون الرشيد يبكى وينتحب رحمه الله !! ، وكان يأتي بنفسه بيت الفضيل بن عياض

ويقول منصور بن عمار : ما رأيت أغزر دمعا عند الذكر من ثلاثة : فضيل بن عياض ، وأبو عبد الرحمن الزاهد , وهارون الرشيد.

وكان هارون الرشيد من جملة دعائه : يا من خشعت له الأصوات بأنواع اللغات يسألونه الحاجات ، إن من حاجتي إليك ان تغفر لى ذنوبي إذا توفيتنى ، وصُيرت فى لحدي ، وتفرق عنى أهلي وولدي ، اللهم لك الحمد حمدا يفضل كل حمد كفضلك على جميع الخلق ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون له رضا ، وصل عليه صلاة تكون له ذخرا وأجزه عنا الجزاء الأوفى ، اللهم أحينا سعداء وتوفنا شهداء واجعلنا سعداء مرزوقين ، ولا تجعلنا أشقياء مرجومين ...

يقول محمد بن منصور البغدادي : لما حبس الرشيد أبا العتاهية جعل عليه عينا يأتيه بما يقول ، فرآه يوما قد كتب على الحائط:

أما والله إن الظلم لؤمٌ *** وما زال المسيء هو الظلومُ

الى ديان يوم الدين نمضى *** وعند الله تجتمع الخصومُ

فأُخبر الرشيد بذلك فبكى ، أحضره واستحله !!



دينار ذهبي فى عهد الدولة العباسية..

وكان للرشيد تعظيما بالغا لأبي بكر وعمر ويحب سيرتهما ،وكان يسأل عنهما ، سأل الرشيد احد العلماء يوما عن مترلة أبي بكر وعمر عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كانت مترلتهما فى حياته منه مترلتهما فى مماته ، فقال : كفيتني ما أحتاج اليه ..

وبلغ من بعض عمال يوما حسن سيرته وتحريه العدل والأمانة ، فأرسل اليه الرشيد يستقدمه ليكافأه ويكون مقدما عنده ، فدخل عليه الرجل ، وكان الرشيد يأكل سفرجلا ، وهو يقشره ويأكل منه ، فقال له : يا

فلان ، ما أحسن ما انتهى الى مولاك عنك ، ولك عنده ما تحب ، وقد أمرت لك بكذا وكذا ، ووليتك كذا وكذا , فسل حاجتك , **!**فتكلم الرجل بحسن سيرته وقال : أنسيْتهم والله يا أمير المؤمنين سيرة العمريْن**!!**

فغضب هارون الرشيد واستشاط غضبا , وأخذ السفرجلة فرماه بها , وقال**:** يا بن اللخناء ، العمريْن! ، العمريْن! ، العمريْن **!** هبنا احتملناها لعمر بن عبد العزيز ، نحتملها لعمر بن الخطاب **!!**

وقال له بعض أهل العلم : يا أمير المؤمنين انظر الى هؤلاء الذين يحبون أبا بكر وعمر ويقدمونهما فأكرمهم بعز سلطانك ، فقال الرشيد **:** أولست كذلك ؟ أنا والله كذلك أحبهما وأحب من يحبهما وأعاقب من يبغضهما.

وكان عظيم الخشية إذا وعظ ويبكى بكاء شديدا ...

فذكر محمد بن هارون ، عن أبيه ، قال : حضرت الرشيد , وقال له الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين ، قد أحضرت ابن السمّاك كما أمرتني ، قال **:** أدخله , فدخل ، فقال له **:** عظني , قال **:** يا أمير المؤمنين ، اتق الله وحده لا شريك له ، واعلم انك واقف غدا بين يدى الله ربك ، ثم مصروف الى إحدى منزلتين لا ثالث لهما ، جنة او نار . قال : فبكى هارون الرشيد حتى اخضلت لحيته.

قال الأصمعى **:** صنع الرشيد يوما طعاما كثيرا وزخرف مجالسه ، وأحضر أبا العتاهية فقال : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال **:**

عِش ما بدا لك سالما *** فى ظل شاهقة القصور

فقال **:** أحسنت , ثم قال **:** ماذا ؟ فقال **:**

يسعى عليك بما اشتهيــ *** ـــت لدى الرواح وفى البكور

فقال : أحسنت , ثم قال : ماذا ؟ فقال :

فإذا النفوس تقعقت *** فى ظل حشرجة الصدورِ

فهناك تعلم موقنا *** ما كنت إلا فى غرور

فبكى الرشيد , وقال الفضل بن يحيى : بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته ، فقال : دعه ، فإنه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا ... رحمه الله !!

ولما حج هارون الرشيد يوما ، دخل على الفضيل بن عياض ، فوعظه الفضيل بن عياض موعظة طويلة جليلة ، حتى بكى الرشيد وانتحب واغشى عليه ، رحمه الله تعالى



الدولة الإسلامية فى عهد الرشيد ..

وهذه القصة العجيبة التى أوردها الإمام ابن كثير فى تاريخه وتدل على ورع الرشيد وخشيته :

يقول ابن كثير : " وروى ابن عساكر، عن إبراهيم المهدي، قال: كنت يوما عند الرشيد فدعا طباخه فقال: أعندك في الطعام لحم جزور؟

قال: نعم، ألوان منه.

فقال: أحضره مع الطعام.

فلما وضع بين يديه أخذ لقمة منه فوضعها في فيه فضحك جعفر البرمكي، فترك الرشيد مضغ اللقمة وأقبل عليه فقال: مم تضحك؟

قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، ذكرت كلاما بيني وبين جاريتي البارحة.

فقال له: بحقي عليك لما أخبرتني به.

قال: حتى تأكل هذه اللقمة.

فألقاها من فيه وقال: والله لتخبرني.

فقال: يا أمير المؤمنين ! بكم تقول إن هذا الطعام من لحم الجزور يقوم عليك؟

قال: بأربعة دارهم.

قال: لا والله، يا أمير المؤمنين بل بأربعمائة ألف درهم.

قال: وكيف ذلك؟

قال: إنك طلبت من طباخك لحم جزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده.

فقلت: لا يخلون المطبخ من لحم جزور فنحن ننحر كل يوم جزورا لأجل مطبخ أمير المؤمنين، لأنا لا نشتري من السوق لحم جزور.

فصرف في لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمائة ألف درهم، ولم يطلب أمير المؤمنين لحم جزور إلا هذا اليوم.

قال جعفر: فضحكت لأن أمير المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه اللقمة. فهي على أمير المؤمنين بأربعمائة ألف.

قال :فبكى هارون الرشيد بكاءً شديدا وأمر برفع السماط من بين يديه، وأقبل على نفسه يوبخها ويقول : هلكت والله يا هارون.

ولم يزل يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة الظهر، فخرج فصلى بالناس ثم رجع يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة العصر، وقد أمر بألفي ألف تصرف إلى فقراء الحرمين في كل حرم ألف ألف صدقة، وأمر بألفي ألف يتصدق بها في جانبي بغداد الغربي والشرقي، وبألف ألف يتصدق بها على فقراء الكوفة والبصرة.

ثم خرج إلى صلاة العصر ثم رجع يبكي حتى صلى المغرب، ثم رجع، فدخل عليه أبو يوسف القاضي فقال: ما شأنك يا أمير المؤمنين باكيا في هذا اليوم؟

فذكر أمره وما صرف من المال الجزيل لأجل شهوته، وإنما ناله منها لقمة.

فقال أبو يوسف: لجعفر هل كان ما تذبحونه من الجزور يفسد، أو يأكله الناس؟

قال: بل يأكله الناس.

فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المال الذي أكله المسلمون في الأيام الماضية، وبما يسره الله عليك من الصدقة، وبما رزقك الله من خشيته وخوفه في هذا اليوم، وقد قال تعالى: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ } [الرحمن: ٤٦.]

فأمر له الرشيد بأربعمائة ألف.

ثم استدعى بطعام فأكل منه فكان غداؤه في هذا اليوم عشاء.أ.هـ

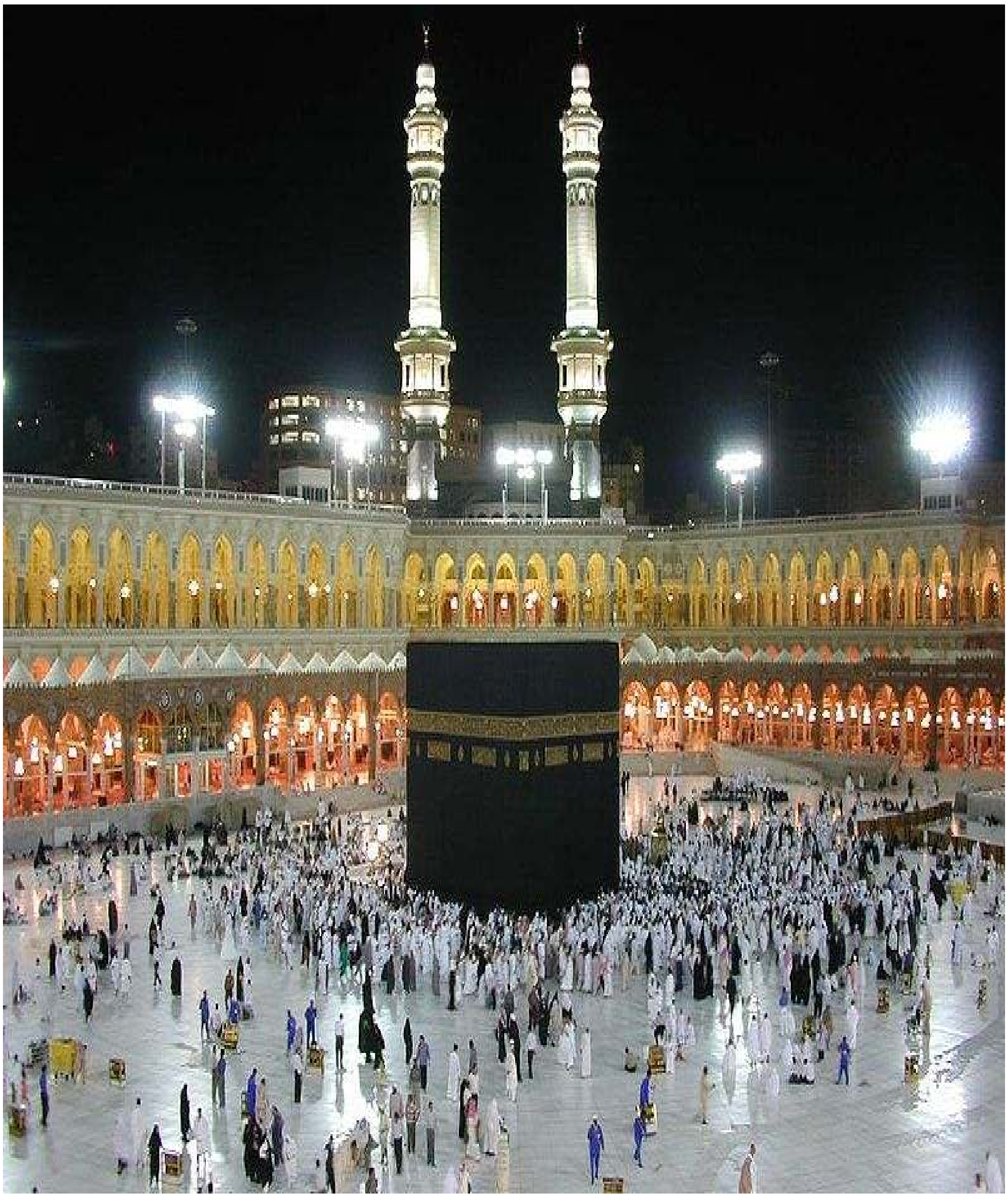
قال عبد الرزاق : كنت مع الفضيل بمكة ، فمر هارون , فقال الفضيل : الناس يكرهون هذا ، وما فى الأرض أعز عليّ منه ، ولو مات لرأيت أمورا عظاما.

وكان الفضيل بن عياض يقول : ما من نفس تموت أشد عليّ موتا من هارون أمير المؤمنين ، وددت أن الله زاد فى عمره من عمرى , فكبر ذلك على أصحابه ، فلما مات هارون الرشيد وظهرت تلك الفتن ، وكان من المأمون ما حمل الناس على قول القرآن مخلوق ، قالوا : الشيخ كان أعلم بما تكلم به.

وهذا نادر فى سير الخلفاء والقادة ، أن نجد فى سيرهم مثل هذا الكلام من العلماء والفقهاء ، فضلا ان يخرج هذا الكلام من الفضيل بن عياض سيد التابعين رحمه الله !! ... وإن لم يكن فى ترجمة هارون الرشيد سوى هذا لكفى .

واعتمر الرشيد عام ١٧٩هـ فى رمضان ، واستمر فى إحرامه الى أن حج ماشيا من بطن مكة .

والرشيد هو الوحيد فى خلفاء المسلمين الذى حج ماشيا رحمه الله تعالى ورضى عنه



الكعبة .. بيت الله !!

وكان الرشيد يحوطه علماء كبار وأئمة عظماء ، فكان أبو يوسق القاضى صاحب الخراج وله كتابه (الخراج) ألفه لهارون الرشيد , ومحمد بن الحسن الشيباني قاضى القضاة ، وكان يعظم عبد الله بن المبارك ، وقابل الإمام مالك وكان يقرع بابه صغيرا فى خلافة ابيه المهدى يطلع عليه العلم ، فكان الإمام مالك شيخ هارون الرشيد , وللإمام مالك رسالة طويلة الى هارون الرشيد معلومة ومطبوعة.

ولما مات عبد الله بن المبارك ، وبلغ خبر وفاته الرشيد قال : مات سيد العلماء ، ثم جلس للعزاء ، وأمر الأعيان ان يعزوه فى ابن المبارك

وكان الرشيد عالما دينا فاضلا ، لا نعلم أحد من ملوك المسلمين قديما وحديثا له رحلة فى طلب العلم إلا اثنين:

-1هارون الرشيد لما ارتحل لمالك لسماع الموطأ

-2صلاح الدين الأيوبي ارتحل للأسكندرية لسماع الموطأ على الحافظ السِّلفي

نكبة البرامكة :

كثر الكلام عن اسباب نكبة البرامكة ، وقيلت روايات منكرة للغاية ، منها ان يحيى بن خالد البرمكي كان يجامع العباسة اخت هارون الرشيد فى محضر هارون الرشيد وكانا يسكران و... الخ ، نعوذ بالله من هذا الخذلان وهذا المجون الذى لا يليق بفرد من أفرد المسلمين فضلا عن هارون الرشيد التقيّ الخاشع , وكل هذا من تلبيس المغرضين ومن أقوال المستشرقين والروافض الذى بثوا سمومهم فى كتب التاريخ.

ونكتفى بما قاله العمراني فى الانباء فى تاريخ الخلفاء : "ولما دخلت سنة سبع وثمانين نكب الرشيد البرامكة وكانت لذلك أسباب منها : استيلاوهم على الدولة وتغلبهم على الدنيا بالكلية , ثم تزويج جعفر بأخت هارون الرشيد بغير علمه وأمور أخرى قد حكيت , فأن كان لها صحة فقد قوبلوا عليها فى الدنيا باستباحة الدم والمال والله تعالى لا يغفل فى الآخرة عن أمثالها ، وإن لم يكن لها صحة فلا فائدة من ذكرها.أ.هـــ

وبنظر فى هذا الأمر الى كتاب (الرشيد القائد) لبسام العسلي.

وأما عن جهاده وغزوه:

فقد كان رحمه الله كثير الغزو والجهاد , وجرى فى عهد هارون الرشيد أول فكاك للأسرى فى التاريخ الإسلامي ، فلم يبق أسيرا مسلما واحدا فى بلاد الروم !!

وغزا الرشيد ووغل فى أرض الروم عام ١٧٩هـــ ، فافتح الصفصاف وبلغ جيشه أنقرة!

وفى عام ١٨٧هـــ , نقضت الروم العهد بينهم وبين هارون الرشيد , وتسلط على الحكم الملك النقفور (نيكوفوريس) فأرسل الى هارون الرشيد رسالة هذه نصها:

من نقفور ملك الروم ، الى هارون ملك العرب ، أما بعد...

فإن الملكة التى كانت قبلي ، أقامتك مقام الرخّ – الطائر الكبير– وأقامت نفسها مقام البيْدق – الطائر الصغير – فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثالها اليها , لكن ذاك ضعف النساء وحمقهنّ ، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قِبلك من أموالها , وافتدِ نفسك بما يقع به المصادرة لك ، والا فالسيف بيننا وبينك.أ.هـــ



عملة ذهبية فى عهد النقفور..

فلما قرأ الرشيد الكتاب ، استفزه الغضب حتى لم يمكن احدا ان ينظر إليه دون ان يخاطبه ، وتفرق جلساوه خوفا من زيادة قول او فعل يكون منهم ، واستعجم الرأى على الوزير من أن يشير ليعه او يتركه يستبد برأيه دونه ، فدعا بداوة وكتب على ظهر الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم , من هارون الرشيد أمير المؤمنين الى نقفور "كلب" الروم ، قد قرات كتابك "يابن الكافرة" ، والجواب ما تراه دون ان تسمعه , والسلام

واااااااااااااااااهٍ يا أيام العزة !! ..

ثم شخص من يومه وسار حتى أناخ بباب "هِرَقْلَة" ففتح وغنم واصطفى وأفاد وخرّب وحرّق ، فطلب النقفور الموادعة على خراج يؤديه فى كل سنة ، فأجابه الى ذلك.

ومازال ذلك ديدن الرشيد مع بلاد الروم ، فقد كان طيلة خلافته يغزوهم ويرسل السرايا والجيوش ويستخلص الأسرى ويثخن فى الروم حتى ارتعدت فرائصهم رعبا من المسلمين . وكان كما سبق : يغزو عاما ويحج عاما ، وكانت له قلنسوة مكتوب عليها : غاز وحاج

ففيه يقول أبى المعالي :

فمن يطلب لقائك او يرده *** فبالحرمين أو أقصى الثغورِ

وفاة هارون الرشيد رحمه الله :

توفى هارون الرشيد رحمه الله غازيا ، ووافته المنية بطوس – مدينة مشهد فى إيران اليوم – فى ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة193 هــ ، وله خمس وأربعون سنة !! ودامت خلافته رحمه الله ٢٣ سنة ..



وكان رحمه الله قد أمر ببناء قبره وكان ينظر فيه ويبكى ويقول : واسؤتاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم !! ثم يقول : يابن آدم تصير الى هذا !!

فرحمة الله على أمير المؤمنين أبو جعفر هارون الرشيد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا ، وغفر الله له زلاته .

وفى النهاية لابد من توضيح هام جدا.

إن التاريخ الإسلامي تاريخ غير معصوم ، لأن أفراده بشر غير معصومين ، فقد يصدر منهم بعض الأخطاء او الزلل ، والعبرة هنا بكثرة الفضائل وقلة السيئات ، والماء فوق القلتين لا يحمل الخبث ..

ونحن لا ندعى العصمة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا عن القادة والفاتحين من المتأخرين , فقد نجد فى سيرهم بعض الأخطاء لا ننكرها ، ولكن لا نسقط تلك الرموز بسبب تلك الأخطاء ، فلو فعلنا لما سلم لنا احد من أعلام التاريخ الإسلامي من العلماء والفقهاء والقادة والفاتحين !!

فلا ننكر ان هارون الرشيد له بعض النقاط السيئة وانغماسه فى بعض اللهو والترف ، ولكن لا نعلم عنه فسقا او فجورا ومجونا !! ، وتلك القطوف التى أوردناها فى الموضوع ترد على كل من ادعى بمجون الرشيد وفسوقه !! ، وهنا يجب التحذير من بعض الكتب التى شوهت سيرة الرشيد وسير بعض العظماء وحتى الصحابة ونسجت حولهم الأكاذيب والمغالطات ، من تلك الكتب:

مروج الذهب للمسعودي ، وقد كان شيعيا يحقد على الأمويين وله أكاذيب فى سير بعض الصحابة

وكتاب الأغاني للأصفهانى فيه الكثير من الاساطير حوال مجون الرشيد وتمتعته بالجواري وإدمانه للخمر حاشاه رحمه الله ، وكتب بعض المستشرقين وأذنابهم مثل كتابات جرجي زيدان فى التاريخ الإسلامى التى شوهت التاريخ الإسلامي !!

رحم الله هارون الرشيد وغفر له...

نرجو نقل الموضوع لتعم الفائدة وينتفع به المسلمون ان شاء الله .. (عند النقل ذكر المصدر)

نقلها لكم أيمن تميم من منتدى فرسان السنه